مجلة معهد الإمام الشاطبي

مقصد التَّوحيد في القرآن

دراسة تأصيلية

إعداد

د. عادل مقراني بن أونيس بن رابح

الأستاذ المشارك/ محاضر(أ) بقسم الكتاب والسنة، كلية أصول الدين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة – الجزائر

- من مواليد عام ١٤٠٠هـ بمدينة أم البواقي بالجزائر.
- تخرج في كلية العلوم الإسلامية بجامعة الحاج لخضر بمدينة باتنة عام ١٤٢٢هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم الكتاب والسنة في كلية العلوم الإسلامية بجامعة الحاج لخضر عام ١٤٢٦هـ بأطروحته: "**ابن عثيمين ومنهجه في التفسير: سورة البقرة أنموذجا**"، كما نال منه شهادة الدكتوراه عام ١٤٣٢هـ بأطروحته: "**اختلاف المفسرين: دراسة تحليلية نقدية**".
- من أعماله المنشورة: (حكم إتلاف المصحف الشريف)، (تفسير الصحابي: أنواعه وأحكامه)، (أثر الدلالات التصريفية في اختلاف المفسرين)، (الضوابط اللغوية للدرس التفسيري)، (مقاصد المستشرقين في ترجماتهم للقرآن الكريم)، (المصادر الدخيلة على التفسير)، (مآلات تأويل النص القرآني بين المدرسة العقلية والحداثية: دراسة مقارنة).
- البريد الشبكي: adelmok80@gmail.com

الملخص

حاولت في هذا البحث وضع دراسة تأصيلية لمقصد التوحيد في القرآن الكريم، وكان ذلك في ثلاثة مطالب:

الأول: للتعريف بمصطلحات المقال لغة واصطلاحا مع صياغة مفهوم لمقصد التوحيد في القرآن.

والثاني: لبيان مكانة مقصد التوحيد، من خلال الوقوف على منزلته في القرآن الكريم، وأقوال العلماء في اعتباره، وعناية المفسرين البالغة به، وهي الفروع الثلاثة التي اشتمل عليها هذا المطلب.

وأما المطلب الثالث: فيقع في فرعين، الأول تسميات العلماء لهذا المقصد، والثاني: لاستقراء تقاسيمهم له.

أهداف البحث: تجلية المقصد الأصلي للقرآن الكريم وبيان أنواعه الفرعية التي يتضمنها، والوقوف على إطلاقات وتسميات العلماء لمقصد التوحيد، وبيان علاقة مقصد التوحيد ببقية المقاصد الأصلية للقرآن الكريم.

منهج البحث: التحليلي والنقدي والمقارن والاستقرائي.

أهم النتائج: وقد خلصت إلى أن مقصد التوحيد هو المقصد الأصلي الذي ترجع إليه جميع المقاصد القرآنية؛ لأن غايته بيان حق الخالق على المخلوق من جهة الطلب والقصد، ومن جهة المعرفة والاثبات.

الكلمات المفتاحية: مقصد، التوحيد، القرآن، دراسة، تأصيلية.

المقدّمة

الحمد لله الذي جعل عز الأمة وشرفها في وحيه، والصلاة والسلام على من أكرمه الله تعالى بإنزال الذكر عليه وبيانه، فأكمل الله به الدين وأتم علينا به النعمة، أما بعد:

فإن البشرية لم تعرف عبر تاريخها الطويل كتابا حظي بالرعاية المتميزة مثل كتاب الله تعالى؛ من حيث تدوينه، ورسم حروفه، وتحقيق قراءاته وطباعته، وبيان أحكامه ومعانيه. ومن أخص صور تلك الرعاية؛ عناية العلماء، وجهود الباحثين في تأويله وتجلية تصاريفه، واستنباط هداياته، ووضع جملة من القواعد والضوابط ليسلم من دخيل الآراء والمناهج، ويصان عن كل ما ينقص كمال دلالات ألفاظه ومعانيه.

ولعل من أعظم ما توصلت إليه عقول المتدبرين للقرآن الكريم، وأنفس ما دونته أقلام المفسرين ما تعلق بمقاصده الأصلية والكلية؛ التي تعين الآخذ بفن التفسير؛ إذ لا يستقيم تدبر ولا يصح تفسير ولا يسلم استنباط إلا بإدراكها.

وإذا كانت المقاصد هي جوهر كل فن، فإن تجلية مقاصد القرآن الكريم هي الغرض الذي ينبغي أن ينشده المفسر، وهي الحاجة المتعينة بالبيان والكشف، لذا كانت حاجة المفسر لمعرفة مقاصد القرآن الكريم ذا أهمية بالغة ابتداء وانتهاء؛ ابتداء لاستحالة وقوفه على مراد الله تعالى دون معرفة سابقة بمقاصده الكلية، ولتعذر بلوغه بيان مراد الله تعالى في كتابه دون مدد من مقاصده انتهاء.

وإن مما لا شك فيه أن مقاصد القرآن الكريم قد تفاوتت رتبها ومنزلتها من جهات عدة، ولا ريب أن التوحيد أعلاها؛ لأنه غاية المقاصد القرآنية، وأولها باعتبار مرتبته في القصد بينها، وأشملها وأعمها لرجوعها جميعا إليه، وهو المقصد الرباني الذي بين أتم البيان، والذي لأجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وصدر

الأمر والنهي. ولأهمية هذا المقصد، ومكانته المرموقة فقد حاولت نسج مضمونه تحت عنوان: **مقصد التوحيد في القرآن دراسة تأصيلية؛** لتنبيه المهتمين بالدراسات القرآنية خصوصا على جوهر ولب المقاصد القرآنية.

أهمية البحث:

من المعلوم عند العلماء والباحثين عظم منزلة بيان مقاصد العلوم وموقعها في البناء المعرفي لكل فن؛ لأن العلم يتميز بمصطلحاته ومقاصده؛ فإذا كانت المصطلحات مفاتيحا للعلوم، فإن المقاصد أصلها وأساسها الذي عليه تبنى، وكل معرفة لا تكون موصولة بمقاصدها فالانحراف والشذوذ مآلها ؛ لذا كان التأصيل لمقصد التوحيد في القرآن الكريم غاية مطلوبة مرجوة لكل باحث في حقل الدراسات القرآنية، خاصة من تطلعت همته لتدبره وتفسيره، كما أن الدرس التفسيري السليم لا ينفك عن شرط معرفة مقصد التوحيد الذي به يدرك التأويل الصحيح للهدايات القرآنية المنبثقة عن المقصد الرباني الأصلي، فهذا المقصد يعد مؤسسا للعملية التفسيرية، مصححا لها، موصلا للمرجو منها على وجه الكمال والحسن، ثم إن إدراك مقصد التوحيد في القرآن يسهم في استثمار النص القرآني في المعرفة الإسلامية بعامة؛ لأنه أس المعارف وأعظمها. وبما ذكر تتجلى أهمية هذا البحث.

أهداف البحث:

لكل جهد علمي غايات يصبو إليها، فتكون بمثابة المرشد المعين الذي يدل على القيمة المرجوة منه، ولعل من أخص أهداف هذا البحث:

أ- تجلية المقصد الأصلي للقرآن الكريم، وبيان أنواعه الفرعية التي يتضمنها.

ب- الوقوف على اطلاقات العلماء على مسمى مقصد التوحيد وتقاسيمهم فيه.

ت- علاقة مقصد التوحيد ببقية المقاصد الأصلية للقرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

يمكن تقسيم الدراسات التي تطرقت للمسائل العلمية المتعلقة بموضوع بحثي إلى نوعين:

النوع الأول: الدراسات التي كتبت في الموضوع استقلالا

لم أقف في حدود اطلاعي على من كتب في تأصيل مقصد التوحيد في القرآن استقلالا، وكل ما كتب يندرج ضمن الكلام في تقاسيم العلماء للمقاصد العامة للقرآن الكريم، وهذا ما يفتح الباب للباحثين في مثل هذه الحيثية الخاصة.

النوع الثاني: الدراسات التي فيها إشارات للموضوع

وهذا النوع يشمل الدراسات التي فيها إشارات إلى المواضيع والمباحث ذات الصلة بمضمون بحثي، وقد كانت هذه الدراسات رافدا له من جهتين اثنتين؛ الأولى: فأما الجهة الأولى فهي الجهة المقاصدية؛ حيث كانت كتب المقاصد بنوعيها ـ التنظيرية أو التطبيقية ـ مددا رئيسيا فيه، وهي كثيرة لا تخفى على المتخصص.

وأما الجهة الثانية فهي جهة التوحيد، والتي كانت فيه كتب التوحيد عونا لي في تقرير وتأصيل كل ما تعلق بهذا الجانب المهم من الدراسة.

منهج البحث:

لإتمام بناء صرح بحث مقصد التوحيد في القرآن دراسة تأصيلية تعين علي الجمع بين جملة من المناهج المتكاملة؛ التحليلي والنقدي والمقارن والاستقرائي، فأما المنهج التحليلي فبه توضَّح حقيقة مقصد التوحيد، والمقارن للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف والتداخل بين كلام العلماء والباحثين المتعلقة بتأصيل هذا المقصد، وأما الاستقرائي فلتتبع الأقوال والمسائل، ونسبتها لأصحابها اضفاء للمصداقية على البحث.

خطة البحث:

رأيت صياغة مضمون هذا البحث في مقدمة، ومطالب ثلاثة وخاتمة، على النحو التالي:

مقدمة: وفيها بيان لأهمية البحث، وأهدافه، وعرض للدراسات السابقة فيه، وبيان منهجه وخطته.

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات عنوان المقال.

الفرع الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحا.

الفرع الثاني: تعريف التوحيد لغة واصطلاحا.

الفرع الثالث: مفهوم مقصد التوحيد في القرآن.

المطلب الثاني: مكانة مقصد التوحيد.

الفرع الأول: منزلة مقصد التوحيد في القرآن الكريم.

الفرع الثاني: أقوال العلماء في اعتبار مقصد التوحيد.

الفرع الثالث: عناية المفسرين البالغة به.

المطلب الثالث: اطلاقات العلماء على مسمى مقصد التوحيد وتقاسيمهم فيه.

الفرع الأول: اطلاقات العلماء على مسمى مقصد التوحيد.

الفرع الثاني: تقاسيم العلماء لمقصد التوحيد.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المطلب الأول

التعريف بمصطلحات عنوان المقال

من المناسب البدء بالكشف عما تحويه مصطلحات عنوان المقال من معاني ودلالات، تجلية لحيثيات الموضوع ومقاصده، مقتصرا على ما يحصل به الغرض.

الفرع الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحا

أ. المقاصد لغة: جمع مقصد، وهو مصدر ميمي مشتق من قصد، وقصد في اللغة تأتي بجملة من المعاني المتقاربة، ومنها: الأم، التوجه، الاعتماد والغرض، الارادة، إتيان الشيء، طلبه بعينه، الكسر، وإن كان في الأول والثاني أقرب.

قال ابن منظور في أصلها نقلا عن ابن جني: «أَصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب الاعتزامُ والتوجُّه، والنهودُ والنهوضُ نحو الشيء، على اعتدالٍ كان ذلك أو جَوْر؛ هذا أَصله في الحقيقة، وإنْ كان قد يُخَصُّ في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل أَلا ترى أَنك تَقْصِد الجَوْرَ تارة كما تقصد العدل أُخرى؟»[1]

وقال ابن فارس: «(قصد) القاف والصاد والدال أصولٌ ثلاثة، يدلُّ أحدها على إتيانِ شيءٍ وأَمِّه، والآخَر على اكتنازٍ في الشيء.

فالأصل: قصَدته قَصْداً ومَقْصَداً، ومن الباب: أَقْصَدَه السَّهمُ، إذا أصابه فقُتِل مَكانَه، وكأنّه قيلَ ذلك لأنَّه لم يَحِد عنه، قال الأعشى:

فأَقْصَدها [سهمي] وقد كان قبلها لأمثالها من نِسوَةِ الحيِّ قانِصَا

ومنه: أَقْصَدَتْه حَيَّةٌ، إذا قتلَتْه.

والأصل الآخر: قَصَدْت الشيءَ كسرته، والقِصْدَة: القِطْعة من الشيء إذا تكسَّر،

(١) لسان العرب (٣/ ٣٥٣).

والجمع قِصَدٌ [ومنه قِصَدُ] الرِّماح. ورمحٌ قَصِد، وقد انقَصَد، قال:

تـرى قِصَـدَ المُرّانِ تُـلْقَى كـأنَّـهـا خِـرصـانٍ بـأيـدي الشَّـواطِبِ»[١]

ب . المقاصد اصطلاحا:

تعددت تعريفات العلماء للمقاصد، وجلها تدور في فلك الدلالة الاصطلاحية للمقاصد الشرعية، وهي لا تخرج في مضمونها العام عن تعريف الأستاذين : علال الفاسي، ومحمد الطاهر بن عاشور، ففي ذلك قال علال الفاسي : «المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها؛ والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها»[٢]، ويقول ابن عاشور: «مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضا معاني من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها»[٣].

وقد جمع أحمد الريسوني بين هذين التعريفين فقال: «إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد»[٤].

ولعلماء الأصول مصطلحات يعبرون بها عن المقاصد؛ كالأغراض، والغايات والأسرار ونحوها.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٩٥).

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ص (٧).

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية (٣/ ١٦٥).

(٤) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص (١٩).

الفرع الثاني: تعريف التوحيد لغة واصطلاحا

أ. التوحيد لغة: دلالات كلمة «وحد «تدور على معنى الانفراد وانقطاع المثل والنظير والشبيه والند؛ من جهة: **جعل** الشيء واحدًا، أو **الحكم** عليه بأنه واحد، أو **العلم** والاعتقاد بأنه واحد، كما أشار إلى ذلك علماء اللغة.

١. قال ابن فارس: «وحد: الواو والحاء والدال، أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك: الوَحْدَة، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله. قال:

يا واحد العُرْب الذي ما في الأنام له نظير

ولقيت القوم مَوْحَدَ مَوْحَد، ولقيته وحده. ولا يضاف إلا في قولهم: نسيجُ وحدِهِ، وعُيَيْرُ وحدِهِ، وجُحَيْش وَحده، ونَسيجُ وحدِه، أي لا يُنسَج غيره لنفاسته، وهو مَثَل. والواحد: المنفرد. وقول عبيد:

والله لو مِتُّ ما ضَرَّني وما أنا إن عشت في واحِدَه».[(١)]

كما قال ابن الأثير في اسم الله الواحد: «هو الفرد الذي لم يزل ولم يكن معه آخر»[(٢)].

٢. وجاء في اللسان: «الواحد من صفات الله تعالى، معناه لا ثاني له، ولا يجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد، فأما أحد فلا ينعت به غير الله لخلوص هذا الاسم الشريف له جل ثناؤه، وتقول: أَحَّدْتُ الله تعالى، ووحدته وهو الواحد الأحد».[(٣)]

٣. وقال الجرجاني: «التوحيد في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد».[(٤)]

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٦/ ٩٠-٩١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٥٩).

(٣) ابن منظور (٣/ ٤٥١).

(٤) التعريفات، ص: ٢٣.

ب . التوحيد اصطلاحا.

لم تأت كلمة التوحيد بهذه اللفظة في كتاب الله تعالى، وإنما جاءت ألفاظ تدل على معنى هذه الكلمة مثل: «واحد»، و«أحد»، و«وحده».

فمن الأول: قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل:٥١] وقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، **ومن الثاني:** قول الله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، **ومن الثالث:** ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠].

ومن أشهر أقوال العلماء في تعريف التوحيد اصطلاحا:

- ما قاله الدارمي: «وتفسير التوحيد عند الأمة، وصوابه، قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له»(١).

- وما قاله الطبري عند تفسير لقوله تعالى: ﴿إِلَٰهَا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] ، «أي نخلص له العبادة، ونوحد له الربوبية، فلا نشرك به شيئاً، ولا نتخذ دونه رباً»(٢).

- وقال الطحاوي: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه»(٣).

- وقال ابن القيم :«توحيد الرسل إثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل، وعبادته وحده لا شريك له، فلا يجعل له نداً في قصد ولا حب ولا

(١) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي للإمام الدارمي، ص٦.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢/ ٥٥٦)
(٣) متن العقيدة الطحاوية، ص١٧.

خوف ولا رجاء ولا لفظ ولا حلف ولا نذر، بل يرفع العبد الأنداد له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته»[(١)].

- وعليه فإن تعريفات العلماء للتوحيد تدور كلها على معنى إفراد الله تعالى بما يختص به، والذي عده العلماء باعتبارين:

أولا: باعتبار ما يجب لله تعالى على الخلق: وهذا قد نص عليه غير واحد من العلماء، كما قال ابن أبي العز الحنفي: «التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: أحدها الكلام في الصفات، والثاني توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء، والثالث توحيد الإلهية وهو استحقاقه – سبحانه وتعالى – أن يعبد وحده لا شريك له»[(٢)].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «وقد دلَّ استقراء القرآن العظيم على أنَّ توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام: **الأول: توحيده في ربوبيته،...الثاني: توحيده جلَّ وعلا في عبادته، النوع الثالث: توحيده جلَّ وعلا في أسمائه وصفاته**».[(٣)]

ثانيا: باعتبار ما طلب من العبد: ومنها ما اختص بجهة المعرفة والاثبات، ومنها ما اختص بجهة الطلب والقصد، وممن ذكر هذا ابن القيم حيث قال: «التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويسمى الأول: التوحيد العلمي، والثاني: التوحيد القصدي الإرادي. لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد والإرادة».[(٤)]

الفرع الثالث: مفهوم مقصد التوحيد في القرآن.

لم أقف على من تطرق إلى تعريف مقصد التوحيد في القرآن، غير أن ما سبق من تعريفات العلماء للتوحيد يفي بوضع تعريف له يرتكز أساسا عليه، إذ يمكن

(١) الروح، ص ٣٨٦.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٢٧.

(٣) أضواء البيان (٣/ ١٨، ١٩).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٨).

صياغة مفهوم له كما في هذين التعريفين:

١. **المفهوم الأول**: هدايات القرآن الكريم في بيان حق الله تعالى على عباده.

٢. **المفهوم الثاني**: هدايات القرآن الكريم في بيان حق ما اختص به سبحانه.

فأما قولي «**هدايات القرآن الكريم**» فلفظ الهدايات أدل على الغاية المرادة من لفظ المقاصد؛ لأنه قرآني كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء: ٩]، وكل لفظ أخذ من القرآن الكريم فهو أولى بالاعتبار من غيره .

وأما قولي «**في بيان حق الله تعالى على عباده**» أو «**في بيان حق ما اختص به سبحانه**». للدلالة على اختصاص هذا المقصد بالله تعالى، وتعين حقه على جميع الخلق دون استثناء، وتفرده به.

فكان لفظ «**حق الله تعالى**» في الأول ولفظ «**حق ما اختص به**» في الثاني دالا على استحقاق الله تعالى واختصاصه بهذا الحق، وبذلك تعينت العبودية في هذا الحق، فصار مقصد التوحيد متعينا على الخلق جمعا، استحقاقا، واختصاصا.

المطلب الثاني

مكانة مقصد التوحيد

إن المكانة السامية لمقصد التوحيد تتضح من عدة جهات؛ والتي يمكن تجليتها من خلال الفروع الآتية:

الفرع الأول: منزلة مقصد التوحيد في القرآن الكريم

لا يتردد عارف بهدايات القرآن الكريم في الجزم بعظيم منزلة مقصد التوحيد بين مقاصد القرآن، وشموليته لجميع المقاصد القرآنية، وقطعيته من جهة الدلالة؛ إذ لا شك في تواتر القرآن، وإن مما نُوضِّح به هذه المنزلة العلية والدرجة الرفيعة ما يلي:

أولا: أنه المقصد الأصلي الذي ترجع إليه جميع المقاصد القرآنية؛ لأن التوحيد هو محور الرسالات التي أُرسل بها الرسل جميعا إلى أقوامهم، كما قال ابن القيم: «أساس دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان»؛[(١)] بل لا يخلو حكم شرعي من هذا المقصد الأسنى، يقول الشاطبي :« منها أن كل حكم شرعي ليس بخال عن حق الله تعالى وهو جهة التعبد ؛فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وعبادته امتثال أوامره واجتناب نواهيه بإطلاق»[(٢)].

وهو المقصد القرآني الذي بُيِّن أتم البيان، كما نص العلماء على ذلك:

يقول **ابن القيم**: «كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، بل نقول قولاً كليّاً: إنَّ كلَّ آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه؛ فإن

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (١/ ١٥١).

(٢) الموافقات في أصول الشريعة (٢/ ٥٣٨).

القرآن إمّا خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإمّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كلِّ ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي...»[(١)]، ويقول **مبارك بن محمد الميلي الجزائري** : «هذا الكتاب العزيز؛ فاقرأ وتدبر تجد السور-مكيها ومدنيها- تفيض القول في حديث المشركين الغابرين والمعاصرين، ولا تكاد تخلو سورة من هذا الحديث، ولا تجد غيره في سور كثيرة، وأول ما نزل الآيات الخمس الأول من سورة العلق، فلم تخل الإشارة إلى التوحيد، والتعريض بالوثنية ؛ للأمر فيها بالقراءة باسم الرب، والتذكير بنعمه في الخلق والتعليم، وآخر ما نزل آية المائدة في إكمال الدين فسدت باب الابتداع، ومن أسلوبه الحكيم جمعه في دعوته بين بيان التوحيد ومزاياه وإيضاح الشرك ودناياه»،[(٢)] ويقول **عبد الرحمن بن ناصر السعدي** : « القرآن كله لتقرير التوحيد ونفي ضده، وأكثر الآيات يقرر الله فيها توحيد الألوهية، وإخلاص العبادة لله وحده، لا شريك له، ويخبر أن جميع الرسل إنما أرسلت تدعوا قومها إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وأن الله تعالى إنما خلق الجن والإنس ليعبدوه، وأن الكتب والرسل بل الفطر والعقول السليمة كلها اتفقت على هذا الأصل، الذي هو أصل الأصول كلها، وأن من لم يَدِنْ بهذا الدين الذي هو إخلاص العبادة والقلب والعمل لله وحده فعمله باطل»[(٣)]. ويقول **ابن أبي العزّ الحنفي** :«وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد – توحيد الطلب والقصد، وتوحيد المعرفة والإثبات – بل كل سورة في القرآن، فالقرآن إمّا خبر عن الله وأسمائه وصفاته وهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤١٧).

(٢) رسالة الشرك ومظاهره، ص:٤٤- ٤٥.

(٣) القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص:٢٠.

من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإمّا خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم ».(١)

ثانيا: معرفة المفسر لمقصد التوحيد شرط لصحة التفسير وسلامته.

إن التفاسير ليست على منزلة واحدة في الصحة والسلامة من الخطأ والشذوذ، والأخطاء التي يقع فيها المفسرون متفاوتة باعتبار مصدرها وسببها، وإن صحة التفسير متأتية من صحة اعتقاد صاحبها، فكم هي التفاسير التي علا كعب أصحابها في اختصاصاتهم وعلومهم ولكن ثغرة فساد المعتقد جنت عليها وعليهم، كما قال الشيخ السعدي: «فلو أراد إنسان أن يصرف همه لمعرفة معاني القرآن من دون معرفة منه لذلك- التوحيد- لحصل من الغلط على الله وعلى رسوله، وعلى مراد الله من كلامه، شيء كثير، وهذا إنما يعرفه من عرف ما في أكثر التفاسير من الأغلاط القبيحة التي ينزه عنها كلام الله ».(٢)

وإن جهل المفسر بمقصد التوحيد باب لفساد القصد واتباع الهوى، ومن أعظم أسباب حرمان الهداية القرآنية، كما قال الزركشي في فَصل أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر: «اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو هو على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله،

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٨٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٢٣.

وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض»،[١] وما ذكره من حجب وموانع حصلت بسبب مجاوزته لما ينبغي أن يكون غرضه.

ومن تتبع استدلالات أصحاب الفرق المنحرفة واستنباطاتهم تبين له أثر فساد معرفتهم لمقصد التوحيد على تفاسيرهم، فهؤلاء «اعتقدوا مذهبا يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة كسلف الأمة وأئمتها، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم؛ تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها، وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه، ومن هؤلاء فرق الخوارج والرافضة والجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرهم».[٢]

لذا تفاوت حظ المفسرين في معرفتهم لهدايات القرآن الكريم بقدر حظهم من المعرفة بمقاصد القرآن العزيز وأخصها مقصد التوحيد، كما قال الطاهر بن عاشور: «حتى تستبين لكم غاية المفسرين من التفسير على اختلاف طرائقهم، وحتى تعلموا عند مطالعة التفاسير مقادير اتصال ما تشتمل عليه، بالغاية التي يرمي إليها المفسر فتزنوا بذلك مقدار ما أوفى به من المقصد، ومقدار ما تجاوزه»[٣].

فتعين شرط صحة المعتقد الذي به يؤهل المفسر لبيان مقصد التوحيد؛ لأن الزلة فيه لها ما يتبعها في بقية المقاصد القرآنية، كما قال السيوطي:«...اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولا ولزوم سنة الدين، فإن من كان مغموصًا عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين ؟ ثم لا يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله؟ ولأنه لا يؤمن إن كان متهما بالإلحاد أن يبتغي الفتنة، ويَغُرَّ الناس بليّهِ وخداعه كدأب الباطنية، وغلاة الرّافضة، وإن كان متهما بهوى لم يُؤْمَن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٨٠) .

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية الحراني (١٣/ ٣٥٦).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٣٨).

كدأب القدرية، فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير ومقصوده منه الإيضاح الساكن ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى».[١]

الفرع الثاني: أقوال العلماء في اعتبار مقصد التوحيد.

مما يدل على عظيم مكانة مقصد التوحيد في القرآن كلام العلماء في تعدادهم لوجوه اعتباره، ومن تلك الوجوه:

أولا: باعتباره مقصدا أصليا بلا خلاف، ويتجلى ذلك من خلال:

أ-تنصيص العلماء على ذلك، سواء المتقدمين منهم كأبي حامد الغزالي وابن العربي والبغوي، وفخر الدين الرازي، وابن جزي الكلبي، وابن القيم، والشاطبي، والبقاعي، والسيوطي، أو المتأخرين منهم، كالألوسي، ومحمد رشيد رضا، وعبد الرحمن بن ناصر السعدي والطاهر بن عاشور، وغيرهم كثير، ومن أشهر أقوالهم:

- **قال أبو حامد الغزالي** (٥٠٥هـ) «سِرُّ القرآن، ولبابه الأصفى، ومقصدُه الأقصى، دعوَةُ العباد إلى الجبار الأعلى، ربِّ الآخرة والأولى، خالق السماوات العلى، والأرضين السفلى، وما بينهما وما تحت الثَّرَى»[٢]
- **وقال الفخر الرازي**: «العلوم البشرية إما علم ذات الله وصفاته وأفعاله وهو علم الأصول وإما علم أحكام الله تعالى وتكاليفه وهو علم الفروع وإما علم تصفية الباطن وظهور الأنوار الروحانية والمكاشفات الإلهية والمقصود من القرآن بيان هذه الأنواع الثلاثة»[٣]

ب- التصريح بأوليته، أو تقديم ذكره على بقية المصادر القرآنية الأخرى، وهي أولية مقصودة معتبرة تدل على تقدمه وتصدره للمقاصد القرآنية، ومن شواهد أقوالهم:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٦/ ٢٢٧٥).

(٢) جواهر القرآن، ص: ٢٣.

(٣) مفاتيح الغيب (١/ ١٥٧).

- **قال أبو حامد الغزالي** (٥٠٥هـ) «...فلذلك انحصرت سُور القرآن وآياته في ستة أنواع: ثلاثة منها: هي السوابق والأصول المُهِمَّة، وثلاثة: هي الرَّوادف والتوابع المُغنِيَة المُتِمَّة.

أما الثلاثة المُهِمَّة فهي: تعريف المدعو إليه، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف الحال عند الوصول إليه...»(١).

- **قال ابن العربي** (المتوفى:٥٤٣هـ): «أن علومه على ثلاثة أقسام: توحيد، وتذكير، وأحكام. فقسم التوحيد فيه تدخل معرفة المخلوقات بحقائقها، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله،... فالأول: كقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣] فركب عليه قسم التوحيد كله في الذات والصفات والأفعال».(٢)

- **قال الفخر الرازي** (٦٠٦هـ): «المقصود من جميع الكتب الإلهية علم الأصول والفروع والمكاشفات، وقد بينا أن هذه السورة مشتملة على تمام الكلام في هذه العلوم الثلاثة فلما كانت هذه المطالب العالية الشريفة حاصلة فيها لا جرم كانت كالمشتملة على جميع المطالب الإلهية»(٣).

- **وقال أيضا** في سياق حديثه عن سورة الفاتحة: «والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة الإلهيات والمعاد والنبوات وإثبات القضاء والقدر لله تعالى ... فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة وكانت هذه السورة مشتملة عليها لقبت بأم القرآن.»(٤).

---

(١) جواهر القرآن، ص: ٢٣.

(٢) قانون التأويل، ص: ٥٤١.

(٣) مفاتيح الغيب (١/ ١٦٨).

(٤) مفاتيح الغيب (١/ ١٥٦).

- **قال البيضاوي** (٦٨٥هـ) «فإن مقاصده محصورة في بيان العقائد والأحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك»[١].
- **قال ابن جزي** (٧٤١هـ): «فاعلم أنّ المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، ... وأما على التفصيل فاعلم أنّ معاني القرآن سبعة: هي علم الربوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد والقصص»[٢].
- **قال السيوطي** (٩١١هـ): «وقد وجه ذلك بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن قامت بها الأديان أربعة علم الأصول ومداره على معرفة الله وصفاته وإليه الإشارة ب رب العالمين الرحمن الرحيم ومعرفة النبوات ...ومعرفة المعاد ... وعلم العبادات ... وعلم السلوك ... وعلم القصص ... فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن»[٣].
- **قال الآلوسي** (المتوفى:١٢٧٠هـ): «ومن هنا قيل لعل الأقرب أن يقال إن مقاصد القرآن التوحيد والأحكام الشرعية وأحوال المعاد ... فصارت المقاصد بهذا الاعتبار أربعة»[٤].
- **قال محمد رشيد رضا**:(١٣٥٤هـ) «المقصد الأول من مقاصد القرآن في بيان حقيقة أركان الدين الثلاثة التي دعا إليها الرسل وضل فيها أتباعهم ...الركن الأول للدين الإيمان بالله تعالى ...الركن الثاني للدين: عقيدة البعث والجزاء ...الركن الثالث للدين: العمل الصالح»[٥].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣٤٧).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ص١٤.

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٥/ ١٨٣١).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥/ ٤٨٥).

(٥) الوحي المحمدي، ص: ١٢١.

- **قال الطاهر بن عاشور** (المتوفى: ١٣٩٣هـ): «ليس قد وجب على الآخذ في هذا الفن أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها فلنلم بها الآن بحسب ما بلغ إليه استقراؤنا وهي ثمانية أمور: الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما»[(١)].

ت- هو المقصد الذي خلق المكلف لأجله: قال البقاعي: «أنَّ المقصود من إرسال الرسلِ، وإنزالِ الكتبِ نصبُ الشرائعِ، والمقصود من نصبِ الشرائع جمع الخلق على الحقّ، والمقصود من جمعهم تعرِيفُهُم المَلكَ وبما يُرضيه، وهو مقصود القرآن، الذي انتظمته الفاتحة بالقصد الأول، ولن يكونَ ذلك إلا بما ذكر علمًا وعملا»[(٢)].

- **قال الشيخ السعدي** (المتوفى:١٣٧٦هـ): «فأجلُّ علوم القرآن على الإطلاق: علم التوحيد، وما لله من صفات الكمال، فإذا مرت عليه الآيات في توحيد الله وأسمائه وصفاته أقبل عليها، فإذا فهمها وفهم المراد بها أثبتها لله على وجه لا يماثله فيه أحد، وعَرَفَ أنه كما ليس لله مثيل في ذاته فليس له مثيل في صفاته، وامتلأ قلبه من معرفة ربه وحبه بحسب علمه بكمال الله وعظمته. فإن القلوبَ مجبولةٌ على محبة الكمال، فكيف بمن له كل الكمال؟ ومنه جميع النعم الجِزَال. ويعرف أن أصل الأصول هو الإيمان بالله، وأن هذا الأصل يقوى ويكمل بحسب معرفة العبد لربه، وفهمه لمعاني صفاته ونعوته وامتلاء القلب بمعرفتها ومحبته، وأيضاً يعرف أنه

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤٢).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ١٢).

بتكميله هذا العلم تكمل علومه وأعماله. فإن هذا هو أصل العلم وأصل التعبد».[١]

• **قال الطاهر بن عاشور** (المتوفى:١٣٩٣هـ):« ان القرآن أنزله الله تعالى كتابا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل: ٨٩]، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية، فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير».[٢]

ثانيا: باعتباره مقصدا شاملا عاما لجميع المقاصد القرآنية الأخرى؛ فكلها صادرة عنه خادمة له.

• **قال ابن جزي** (٧٤١هـ): «فاعلم أنّ المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، ثم إنّ هذا المقصد يقتضي أمرين، لا بد منها، وإليهما ترجع معاني القرآن كله: أحدهما بيان العبادة التي دعي الخلق إليها، والأخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتردّدهم إليها، فأما العبادة فتنقسم إلى نوعين، وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال. وأما البواعث عليها فأمران وهما: الترغيب والترهيب»[٣].

• **وقال ابن القيم** (المتوفى:٧٥١هـ): فإن معاني القرآن دائرة على التوحيد وبراهينه، والعلم بالله وما له من أوصاف الكمال، وما ينزه عنه من سمات النقص، وعلى الإيمان بالرسل ... وعلى الإيمان بملائكته، وهم رسله في خلقه وأمره ...

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص: ٨٦.

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٣٨).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، ص١٤.

وعلى الإيمان باليوم الآخر... وعلى تفاصيل الأمر والنهي، والشرع والقدر، والحلال والحرام، والمواعظ والعبر، والقصص والأمثال، والأسباب والحكم، والمبادئ والغايات في خلقه وأمره»[(١)]

- **قال الشاطبي** (٧٩٠هـ): «وغالب المكي أنه مقرر لثلاثة معان، أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى:

أحدها: تقرير الوحدانية لله الواحد الحق، غير أنه يأتي على وجوه؛ كنفي الشريك بإطلاق، أو نفيه بقيد ما ادعاه الكفار في وقائع مختلفة، من كونه مقربًا إلى الله زلفى، أو كونه ولدًا أو غير ذلك من أنواع الدعاوى الفاسدة.

والثاني: تقرير النبوة للنبي محمد، وأنه رسول الله إليهم جميعًا ...والثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة...فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن بمكة في عامة الأمر،... ويتبع ذلك الترغيب والترهيب، والأمثال والقصص ، وذكر الجنة والنار ووصف يوم القيامة وأشباه ذلك..»[(٢)]

ثالثا: باعتباره مقصدا غائيا، وليس من مقاصد الوسائل؛ لذا دارت عليه جميع المقاصد الأخرى.

- **قال ابن القيم** (المتوفى:٧٥١هـ): «أساس دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان»[(٣)].
- **وقال البقاعي** (٨٨٥هـ): «وعلى قدر المقصود من كل سورة، تكون عظمتها، ويعرف ذلك مما ورد في فضائلها ويؤخذ من ذلك أسماؤها، ويدل على فضلها كثرتها. فلا سورة في القرآن أعظم من الفاتحة، لأنه لا مقصود أعظم من مقصودها،

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٥٠).
(٢) الموافقات في أصول الشريعة (٤/ ٢٩٨).
(٣) الصواعق المرسلة (١/ ١٥١).

وهي جامعة لجميع معاني القرآن، ولا يلزم من ذلك اتحاد مقصودها مع مقصوده بالذات، وإن توافقا في المآل، فإنه فرق بين الشيء وبين ما جمع ذلك الشيء. فمقصود القرآن، تعريف الخلق بالمَلِكِ، وبما يرضيه. ومقصود الفاتحة: غاية ذلك، لكونها غاية له، وذلك هو المراقبة المذكورة، المستفادة من التزام ذكره تعالى في كل حركة وسكون، لاعتقاد أنه لا يكون شيء إلا به، وعلى جلالة هذا المقصد، جاءت فضائلها»[(١)].

رابعاً: باعتباره مقصدا توقيفيا قطعي الدلالة؛ لأن آيات القرآن كلها شاهدة عليه.

قال مبارك الميلي الجزائري : «هذا الكتاب العزيز؛ فاقرأ وتدبر تجد السور -مكيها ومدنيها- تفيض القول في حديث المشركين الغابرين والمعاصرين، ولا تكاد تخلو سورة من هذا الحديث، ولا تجد غيره في سور كثيرة، وأول ما نزل الآيات الخمس الأول من سورة العلق، فلم تخل الإشارة إلى التوحيد، والتعريض بالوثنية ؛ للأمر فيها بالقراءة باسم الرب، والتذكير بنعمه في الخلق والتعليم، وآخر ما نزل آية المائدة في إكمال الدين فسدت باب الابتداع، ومن أسلوبه الحكيم جمعه في دعوته بين بيان التوحيد ومزاياه وإيضاح الشرك ودناياه...»[(٢)].

الفرع الثالث: عناية المفسرين البالغة به.

لقد سلك علماء التفسير في إيضاح دلالات القرآن سبلا عدة ومناهج مختلفة متكاملة، وتفاوت حظهم من البيان على قدر اغتراف كل واحد فيهم من علومه، ومقدار ولوجهم في بحاره، فمنهم الباحث عن لآلئ بلاغته وإعرابه وإعجازه، ومنهم المنقب في جوانب فقه أحكامه، ومنهم المبين لهدايات قصصه، ومنهم المتفحص لجميع جوانبه.

(١) مصاعِد النظر للإشراف على مقاصِدِ السورِ (١/ ١١٠).

(٢) رسالة الشرك ومظاهره، (ص:٤٤- ٤٥).

ومن أهم ما تناولته أقلام المفسرين بالبيان آيات مقصد التوحيد؛ ما يدل على عنايتهم البالغة به؛ والتي تجلت في جملة أمور نذكر أهمها:

١. **لا يكاد يخلو تفسير من التفاسير المعتمدة عاما أو خاصا من التطرق لآيات مقصد التوحيد**؛ فجميع المفسرين على اختلاف اتجاهاتهم ومناهجهم التفسيرية، ومذاهبهم الفقهية والعقدية، ومدارسهم اللغوية يعتمدون في بناء الدرس التفسيري على المقصد الأصلي الذي تبنى عليه جميع المباحث القرآنية التفسيرية الأخرى.

٢. **الباعث لكتابة بعض التفاسير**: فمن التفاسير من كان الباعث العقدي ـ بيان مقصد التوحيد ـ هو المرشد الأساس لصاحبه لتفسير كلام الله تعالى، كما صرح بذلك أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في قوله: «ولقد رأيت إخواننا في الدِّين من أفاضل الفئة النَّاجية العدليَّة، الجامعين بين علم العربيَّة والأصول الدِّينيَّة، كلما رجعوا إليَّ في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحُجب، أفاضوا في الاستحسان والتَّعجب، واستُطيروا شوقا إلى مُصنف يضمُّ أطرافا من ذلك، حتَّى اجتمعوا إليَّ مقترحين أن أُملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، فاستعفيت، فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدِّين، وعلماء العدل والتَّوحيد. والذي حداني إلى الاستعفاء ـ على علمي أنَّهم طلبوا ما الإجابة إليه عليّ واجبة، لأنَّ الخوض فيه كفرض العَين ـ ما أرى عليه الزَّمان من رثاثة أحواله، وركاكة رجاله، وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم، فضلًا أن تترقَّى إلى الكلام المؤسَّس على علمي البيان والمعاني»[(١)].

ولئن كان هذا الكلام دالا على عناية المفسرين بهذا المقصد في ثنايا تفاسيرهم، فإن بعضهم أخذ يوجِّه دلالته تبعا لهواه، فسال مداد الأقلام على صفحات التَّفاسير

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (١/ ١٥).

بتحكُّمات عقائد الفرق، كصنيع الزمخشري الَّذي أسَّسه على الاعتزال من أوَّل حرفٍ خطَّه بقلمه، وشهادته منقوشة في الصفحات الأولى من كشافه.

٣. تقريرهم وتجليتهم لمقصد التوحيد، كصنيع صاحب «تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان» الشَّيخ عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعدي، الذي قال عنه تلميذه الشَّيخ ابن عثيمين: «كان له مميِّزاتٌ كثيرة... ومنها السَّير على منهج السَّلف في آيات الصِّفات، فلا تحريف ولا تأويل يخالف مراد الله بكلامه، فهو عمدةٌ في تقرير العقيدة »[(١)].

وقال عنه الشَّيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل : «وقد اهتمَّ بترسيخ العقيدة السَّلفيَّة، والتَّوجُّه إلى الله، واستنباط الأحكام الشَّرعية... مع اهتمامه بتفسير آيات الصِّفات بمقتضى عقيدة السَّلف، خلافًا لما يؤوِّله بعض المفسِّرين»[(٢)].

(١) مقدمة تفسير تيسير الكريم الرحمن، (ص: ٧).

(٢) المصدر نفسه، (ص: ٦).

المطلب الثالث

اطلاقات العلماء على مسمى مقصد التوحيد وتقاسيمهم فيه

من المسائل المعينة في إبراز مقصد التوحيد في القرآن الكريم، وتجلية حقيقته ما تعلق بتسميات العلماء وتقاسيمهم له؛ إذ الاصلاح قد يختلف من حقبة زمنية لأخرى، وعدم إدراكه يكون عائقا ومانعا من الوقوف على تأصيلات وتنظيرات العلماء، كما أن الوقوف على تقاسيمهم يسهم في معرفة مناهجهم وطرائقهم، ومدى اعتبارهم لهذا المقصد القرآني.

الفرع الأول: اطلاقات العلماء على مسمى مقصد التوحيد.

لقد تعددت اطلاقات العلماء على مسمى مقصد التوحيد وتنوعت، ويمكن أن يبرر صنيعهم هذا بأحد هذه الأمور:

أولا: عدم استقرار المصطلح، ما يبرر اختلاف عبارات العلماء في التعبير على مسمى هذا المقصد، وهذا حال الاصطلاحات في جميع الفنون؛ إذ تنشأ وتتطور ثم تستقر.

ثانيا: لم تؤخذ من ألفاظ الوحي.

ثالثا: اجتهاد العلماء في تخيير اللفظ الأليق لمقصد التوحيد، ما يدل على تعدد وجهات نظرهم في تعيين الأفضل منها لتسميته به.

رابعا: تنوع الكلام عليه في عدة مواطن يفضي بصاحبه لكثرة الاصطلاحات الدالة عليه، وهذا يدل عليه صنيع الفخر الرازي.

ومن أشهر التسميات التي وقفت عليها بعد التتبع والاستقراء لكلام العلماء عن مقاصد القرآن ما يلي:

التسمية الأولى: دعوَة العباد إلى الجبار الأعلى، وهي التسمية الخاصة بأبي حامد الغزالي حيث قال: «سِرُّ القرآن، ولُبابه الأصفى، ومقصدُه الأقصى، دعوة

العباد إلى الجبار الأعلى، رب الآخرةِ والأولى، خالق السماوات العلى، والأرضين السلفى، وما بينهما وما تحت الثّرى»[(١)]،وكان قد أدرج هذا المقصد في مسمى: السوابق والأصول المهمة.

التسمية الثانية: التوحيد: وهذه أطلقها غير واحد من أهل العلم منهم:

١. ابن العربي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) حيث قال: «أن علومه على ثلاثة أقسام: توحيد»[(٢)].

٢. ابن القيم (المتوفى:٧٥١هـ) قال: «وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين من التوحيد في سورتي الاخلاص وهما سورة قل يا أيها الكافرون المتضمن للتوحيد العملي الاداري وسورة قل هو الله أحد المتضمنة للتوحيد العلمي الخبري»[(٣)].

٣. الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) قال: «ومن هنا قيل لعل الأقرب أن يقال إن مقاصد القرآن التوحيد»[(٤)].

التسمية الثالثة: توحيد الخالق، وهذه قريبة من التسمية الثانية، وهي التي أطلقها البقاعي، فقال: «ومقصودها: الوفاء بما هدى إليه الكتاب، ودل عليه ميثاق العقل من توحيد الخالق، ورحمة الخلائق، شكراً للنعمة، واستدفاعاً للنقمة»[(٥)].

التسمية الرابعة: علم التوحيد. وهذه ذكرها عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) حيث قال: «فأجلُّ علوم القرآن على الإطلاق: علم التوحيد، وما لله من صفات الكمال».[(٦)]

---

(١) جواهر القرآن، ص: ٢٣.

(٢) قانون التَّأويل، ص: ٥٤١.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٩٤).

(٤) روح المعاني (١٥/ ٤٨٥).

(٥) مصاعد النَّظرِ للإشراف على مقاصد السِورِ(٢/ ١٠٦).

(٦) القواعد الحسان لتفسير القرآن ص: ٨٦.

التسمية الخامسة: علم الأصول، وهو اصطلاح كل من الفخر الرازي (٦٠٦هـ) وجلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، حيث **قال الأول**: «المقصود من جميع الكتب الإلهية علم الأصول والفروع والمكاشفات»[(١)]، **وقال الثاني**:«...العلوم التي احتوى عليها القرآن قامت بها الأديان أربعة: علم الأصول ومداره على معرفة الله وصفاته وإليه الإشارة بـ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٢- ٣] ومعرفة النبوات...وعلم العبادات...وعلم السلوك...فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن».[(٢)]

التسمية السادسة: الْإِلَهِيَّاتُ، وهي تسمية الفخر الرازي إذ قال: «والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى ...».[(٣)]

التسمية السابعة: معرفة ذات الله ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله، وهذا قاله الفخر الرازي: «ولعل الغرض منه أن المقصود الأشرف من جميع الشرائع والعبادات، معرفة ذات الله ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله، وهذه السورة مشتملة على معرفة الذات، فكانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن».[(٤)]

التسمية الثامنة: العقائد، وهذه التسمية أطلقها **البيضاوي** (٦٨٥هـ)، حيث قال: «فإن مقاصده محصورة في بيان العقائد والأحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك»[(٥)].

---

(١) مفاتيح الغيب (١/ ٢٦١).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٥/ ١٨٣١).

(٣) مفاتيح الغيب (١/ ١٦٨).

(٤) مفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٥٨).

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣٤٧).

التسمية التاسعة: دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، وهذه تسمية ابن جزي (٧٤١ هـ) الذي قال فيها: «فاعلم أنّ المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، ثم إنّ هذا المقصد يقتضي أمرين، لا بد منها، وإليهما ترجع معاني القرآن كله»[١].

التسمية العاشر: تقرير الوحدانية لله الواحد الحق، وهو قول الشاطبي (٧٩٠هـ): «وغالب المكي أنه مقرر لثلاثة معان، أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى: أحدها: تقرير الوحدانية لله الواحد الحق، غير أنه يأتي على وجوه؛ كنفي الشريك بإطلاق، أو نفيه بقيد ما ادعاه الكفار في وقائع مختلفة، من كونه مقربًا إلى الله زلفى، أو كونه ولدًا أو غير ذلك من أنواع الدعاوى الفاسدة».[٢]

التسمية الحادية عشرة: تعريف الخلق بالمَلِكِ، وبما يرضيه، وهي تسمية البقاعي(٨٨٥هـ) حيث قال: «فمقصود القرآن، تعريف الخلق بالمَلِكِ، وبما يرضيه. ومقصود الفاتحة: غاية ذلك، لكونها غاية له، وذلك هو المراقبة المذكورة، المستفادة من التزام ذكره تعالى في كل حركة وسكون، لاعتقاد أنه لا يكون شيء إلا به، وعلى جلالة هذا المقصد جاءت فضائلها».[٣]

التسمية الثانية عشرة: أركان الدين الثلاثة، قال محمد رشيد رضا:(١٣٥٤هـ) «المقصد الأول من مقاصد القرآن في بيان حقيقة أركان الدين الثلاثة التي دعا إليها الرسل وضل فيها أتباعهم ...الركن الأول للدين الإيمان بالله تعالى ...الركن الثاني للدين: عقيدة البعث والجزاء ...الركن الثالث للدين: العمل الصالح».[٤]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ص١٤

(٢) الموافقات (٤/ ٢٩٨).

(٣) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١/ ١١٠).

(٤) الوحي المحمدي ص: ١٢١.

التسمية الثالثة عشرة: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهذه التسمية أطلقها **محمد الطاهر بن عاشور** (١٣٩٣هـ): «ليس قد وجب على الآخذ في هذا الفن أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها فلنلم بها الآن بحسب ما بلغ إليه استقراؤنا وهي ثمانية أمور: الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما»(١).

فهذه هي أشهر **اطلاقات العلماء على مسمى مقصد التوحيد**؛ التي وقفت عليها، وكلها تقرر استحقاق الله تعالى للعبادة واختصاصه بها.

الفرع الثاني: تقاسيم العلماء لمقصد التوحيد.

من المسائل المبثوثة في كلام العلماء والباحثين في المقاصد القرآنية بعامة؛ التقاسيم الفرعية لها، وهي نظرات تأسيسية، ترشد القارئ إلى جوهر البناء المقاصدي للقرآن الكريم، ومن أخصها التقاسيم الفرعية لمقصد التوحيد التي ذكرها غير واحد منهم.

أولا: تقاسيم وأسماء العلماء لأنواع مقصد التوحيد.

ومحصل تقاسيم العلماء لأنواعه أحد التقسيمين التاليين:

التقسيم الثنائي: وهذا التقسيم قد ارتضاه غير واحد من أهل العلم، حيث قسموه إلى مقصدين فرعيين، غير أنهم قد اختلفوا في تسمية كل قسم منها، ومن أقوالهم:

القول الأول: وهو الذي قرره ابن العربي المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: «فقسم التوحيد فيه تدخل معرفة المخلوقات بحقائقها، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله...

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤٢).

فالأول: كقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] فركب عليه قسم التوحيد كله في الذات والصفات والأفعال»[١]. وعليه يكون التقسيم في هذا القول على النحو التالي:

١. معرفة المخلوقات بحقائقها.

٢. معرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله.

القول الثاني: وفيه يكون التقسيم على النحو التالي:

١. بيان العبادة التي دعي الخلق إليها.

٢. ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتردّدهم إليها.

وقد جاء التصريح بهذا التقسيم على يد ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: «في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن. ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل. أما الجملة، فاعلم أنّ المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، ثم إنّ هذا المقصد يقتضي أمرين، لا بد منها، وإليهما ترجع معاني القرآن كله: أحدهما بيان العبادة التي دعي الخلق إليها، والأخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتردّدهم إليها »[٢].

القول الثالث: وفيه جاء التقسيم كالتالي:

١. التوحيد العملي الإرادي.

٢. التوحيد الخبري العملي.

وبه قال ابن القيم: «قد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين من التوحيد فِي سورتي الإخلاص وهما: سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون:١] المتضمنة

(١) قانون التأويل: ص٥٤١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ص ١٤.

للتوحيد العمليّ الإرادي، وَسورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ [الإخلاص:١] المتضمنة للتوحيد الخبري العملي...»[(١)].

القول الرابع: وفيه كان الاطلاق وفق النحو التالي:

١. إثبات الذات.

٢. إثبات الصفات.

قال السيوطي: «وكذلك أول سورة اقرأ فإنها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها أول ما أنزل من القرآن فإن فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله وفيه الإشارة إلى علم الأحكام وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفه فعل»[(٢)].

التقسيم الثلاثي: وقد ارتضاه بعض العلماء، واختلفت أقوالهم في عده إلى ستة، وهي:

القول الأول: وفيه:

١. توحيده الربوبية

٢. توحيده العبادة.

٣. توحيده الأسماء والصفات.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «وقد دلَّ استقراء القرآن العظيم على أنَّ توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام: **الأول: توحيده في ربوبيته**، وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فِطَرُ العقلاء، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]،...**الثاني: توحيده جلَّ وعلا في عبادته**، وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى «لا إله إلا الله»، **النوع الثالث: توحيده جلَّ وعلا في أسمائه**

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية: (٢/ ٩٤).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٥/ ١٨٣٢).

وصفاته، وهذا النوع من التوحيد ينبني على أصلين:

الأول: تنزيه الله جلَّ وعلا عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾.

والثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه؛ أو وصفه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق بكماله وجلاله؛ كما قال بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، مع قطع الطمع عن إدراك كيفيَّة الاتصاف، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]»[(١)].

القول الثاني: وفيه:

١. معرفة ذات الحق تبارك وتعالى.

٢. معرفة الصفات.

٣. معرفة الأفعال.

وقال به أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ): «في تعريف المدعو إليه: وهو شرح معرفة الله تعالى، وذلك هو الكبريت الأحمر. وتشتمل هذه المعرفة على: معرفة ذات الحق تبارك وتعالى، ومعرفة الصفات، ومعرفة الأفعال.

وهذه الثلاثة: هي الياقوت الأحمر، فإنها أخصُّ فوائد الكبريت الأحمر، وكما أن لليواقيت درجات، فمنها الأحمر والأَكْهَبُ والأصفر، وبعضُها أنفس من بعض، فكذلك هذه المعارف الثلاثة ليست على رتبة واحدة بل أَنْفَسُها: معرفة الذات: فهو الياقوت الأحمر؛ ثم يليه معرفة الصفات وهو الياقوت الأَكْهَب؛ ويليه معرفة الأفعال، وهو الياقوت الأصفر»[(٢)].

---

(١) أضواء البيان (٣/ ١٨،١٩)

(٢) جواهر القرآن، ص: ٢٥.

وهو الذي ذكره الرازي:« أن العلوم البشرية إما علم ذات الله وصفاته وأفعاله وهو علم الأصول وإما علم أحكام الله تعالى وتكاليفه وهو علم الفروع وإما علم تصفية الباطن وظهور الأنوار الروحانية والمكاشفات الإلهية والمقصود من القرآن بيان هذه الأنواع الثلاثة وهذه السورة الكريمة مشتملة على تقرير هذه المطالب الثلاثة على أكمل الوجوه : فقوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٢-٤] إشارة إلى علم الأصول ؛ لأن الدال على وجوده وجود مخلوقاته فقوله : ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يجري مجرى الإشارة إلى أنه لا سبيل إلى معرفة وجوده إلا بكونه ربا للعالمين وقوله : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إشارة إلى كونه مستحقا للحمد ولا يكون مستحقا للحمد إلا إذا كان قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات ثم وصفه بنهاية الرحمة – وهو كونه رحمانا رحيما – ثم وصفه بكمال القدرة – وهو قوله مالك يوم الدين – حيث لا يهمل أمر المظلومين بل يستوفي حقوقهم من الظالمين وعند هذا تم الكلام في معرفة الذات والصفات وهو علم الأصول ».[(١)]

وقال أيضا:«ولعل الغرض منه أن المقصود الأشرف من جميع الشرائع والعبادات، معرفة ذات الله ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله، وهذه السورة مشتملة على معرفة الذات، فكانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن»[(٢)].

القول الثالث: وفيه:

١. معرفة الله سبحانه بأسمائه
٢. معرفة الله سبحانه بصفاته
٣. معرفة الله سبحانه بأفعاله

(١) مفاتيح الغيب (١/ ١٥٧).
(٢) المصدر نفسه (٣٢/ ٣٥٨).

قال ابن القيم (المتوفى:٧٥١هـ): «أساس دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان.

أحدهما: تعريف الطريق الموصلة إليه وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه.

الثاني: تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليه من النعيم الذي لا ينفد وقرة العين التي لا تنقطع، وهذان الأصلان تابعان للأصل الأول ومبنيان عليه فأعرف الناس بالله أتبعهم للطريق الموصل إليه وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه»[(١)].

القول الرابع: وفيه

١. تقرير الوحدانية لله الواحد الحق.

٢. تقرير النبوة للنبي محمد.

٣. إثبات أمر البعث والدار الآخرة.

قال الشاطبي (٧٩٠هـ):«وغالب المكي أنه مقرر لثلاثة معان، أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى: **أحدها:** تقرير الوحدانية لله الواحد الحق، غير أنه يأتي على وجوه؛ كنفي الشريك بإطلاق، أو نفيه بقيد ما ادعاه الكفار في وقائع مختلفة، من كونه مقربًا إلى الله زلفى، أو كونه ولدًا أو غير ذلك من أنواع الدعاوى الفاسدة.

والثاني: تقرير النبوة للنبي محمد، وأنه رسول الله إليهم جميعًا، صادق فيما جاء به من عند الله؛ إلا أنه وارد على وجوه أيضًا؛ كإثبات كونه رسولًا حقًّا، ونفي ما ادعوه عليه من أنه كاذب، أو ساحر، أو مجنون، أو يعلمه بشر، أو ما أشبه ذلك من كفرهم وعنادهم.

---

(١) الصواعق المرسلة (١/ ١٥١).

والثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة وأنه حق لا ريب فيه بالأدلة الواضحة، والرد على من أنكر ذلك بكل وجه يمكن الكافر إنكاره به؛ فرد بكل وجه يلزم الحجة، ويبكت الخصم، ويوضح الأمر.

فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن بمكة في عامة الأمر»[(١)].

القول الخامس: وفيه.

١. معرفة الله وصفاته.

٢. معرفة النبوات.

٣. معرفة المعاد.

قال السيوطي: «العلوم التي احتوى عليها القرآن قامت بها الأديان أربعة علم الأصول ومداره على معرفة الله وصفاته وإليه الإشارة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [٢ - ٣] ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧] ومعرفة المعاد وإليه الإشارة بـ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]»[(٢)].

القول السادس: وفيه:

١. ركن الإيمان بالله تعالى.

٢. ركن عقيدة البعث والجزاء.

٣. ركن العمل الصالح.

قال محمد رشيد رضا: (١٣٥٤) «المقصد الأول من مقاصد القرآن في بيان حقيقة أركان الدين الثلاثة التي دعا إليها الرسل وضل فيها أتباعهم...الركن الأول للدين الإيمان بالله تعالى ...الركن الثاني للدين: عقيدة البعث والجزاء ...الركن الثالث للدين: العمل الصالح»[(٣)].

---

(١) الموافقات (٤/ ٢٩٨).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٥/ ١٨٣١).

(٣) الوحي المحمدي، ص: ١٢١.

ثانيا: الأنواع المذكورة في متضمنات مقصد التوحيد.

بعد عرض ما وقفت عليه من متضمنات مقصد التوحيد، ومحاولة الجمع بين الألفاظ المترادفة أو كالمتقاربة وصلت إلى تعدادها كالتالي:

١. بيان العبادة وبواعثها.

٢. معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أو تقرير الوحدانية لله الواحد الحق أو الإيمان بالله تعالى، أو توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

٣. تقرير أو معرفة النبوة.

٤. إثبات البعث والجزاء والدار الآخرة أو المعاد.

٥. العمل الصالح.

٦. معرفة المخلوقات بحقائقها.

وعند التأمل في هذه المقاصد الفرعية لمقصد التوحيد يمكن حصرها كما يلي:

النوع الأول: توحيد الألوهية وهي ما طلب من العبد، أي توحيد الله بأفعال العباد.

النوع الثاني: توحيد الربوبية وهو المتعلق بأفعال الرب سبحانه وتعالى.

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وهو المتعلق بالمثبت له منها، والمنفي عنه من الصفات بقصد إثبات ضده، سواء كان سلبا متصلا أو منفصلا.

وهذا المقصد هو مدلول كلمة التوحيد، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية «وشهادة أن لا إله إلا الله فيها الإلهيات، وهي الأصول الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات. وهذه الأصول الثلاثة تدور عليها أديان الرسل وما أنزل إليهم، وهي الأصول الكبار التي دلت عليها وشهدت بها العقول والفطر»[(١)].

(١) نقلا عن التنبيهات السنية: عبد العزيز بن ناصر الرشيد، ص:١٣

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني ويسر لي إتمام هذا المقال الموسوم بـ «**مقصد التوحيد في القرآن دراسة تأصيلية**»، وبعد الذي خطه قلمي في بيانه مضمونه؛ أقف في ختام هذا البحث على ما خلصت إليه من نتائج وتوصيات.

فأما النتائج فأهمها:

١) إن مقصد التوحيد هو المقصد الأصلي الذي ترجع إليه جميع المقاصد القرآنية، لذا تعتبر معرفته شرطا لصحة التفسير وسلامته؛ لأصالته، وشموليته، وغائيته، وتوقيفيته.

٢) أن تسميات العلماء لمقصد التوحيد متعددة، ولكنها ترشد إلى الأصل الذي بني عليه هذا المقصد، وهو بيان حق الخالق على المخلوق من جهة الطلب والقصد، ومن جهة المعرفة والاثبات.

٣) أن تقاسيم وتسميات العلماء لأنواع مقصد التوحيد تندرج ضمن الحق الخاص لله تعالى.

وأما التوصيات فهي:

١) تحرير القول في بقية مقاصد القرآن الكريم من جهة التأصيل.

٢) دراسة مناهج المفسرين في طريق عرضهم للمقاصد القرآنية

٣) جمع مصطلحات المفسرين الدالة على أسماء المقاصد القرآنية.

هذا ما تم جمعه وبيانه في البحث ونتائجه وتوصياته

والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، مصحف مجمع الملك فهد للمصاحف.

١. **الاتقان في علوم القرآن**: جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد للمصاحف ـ السعودية ـ .

٢. **اجتماع الجيوش الإسلامية**: ابن قيم الجوزية، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية – الرياض ـ ط١: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر –بيروت–، ط: ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

٤. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**: البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي (د.ت).

٥. **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – مصر ـ، ط١، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

٦. **التحرير والتنوير**: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ط: ١٩٩٧م.

٧. **التسهيل لعلوم التنزيل**: ابن جزي، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت– ط١: ١٤١٦هـ.

٨. **التعريفات**: السيد علي بن محمد بن علي الزين الجرجاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب – بيروت–، ط: ١٤٠٧هـ.

٩. **التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية**: عبد العزيز الناصر الرشيد، دار الرشيد–السعودية ط٥: ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٠. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

١١. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: ابن جرير الطبري تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٢. **جواهر القرآن**: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم ـ بيروت ـ ط٢: ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

١٣. **رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي**: للإمام الدارمي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ـ (د.ت).

١٤. **رسالة الشرك ومظاهره**: مبارك بن محمد الميلي، تحقيق: محمود عبد الرحمن، دار الراية، السعودية، ط١: ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٥. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: محمود الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط١: ١٤١٥هـ.

١٦. **الروح** لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية–بيروت، ط: ١٣٩٥هـ– ١٩٧٥م.

١٧. **شرح العقيدة الطحاوية**: ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد.

١٨. **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**: ابن القيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ـ السعودية ـ ط١: ١٤٠٨هـ.

١٩. **قانون التأويل**: أبو بكر بن العربي المعافري، دراسة وتحقيق: محمّد السّليماني، دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، ط١: ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٢٠. **القواعد الحسان لتفسير القرآن**: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٢١. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: جار الله الزمخشري**، تحقيق: أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، ط١ :١٤١٨هـ–١٩٩٨م.

٢٢. **لسان العرب**: ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار النشر: دار المعارف ـ القاهرة ـ (د.ت).

٢٣. **متن العقيدة الطحاوية للإمام** الطحاوي، شرح وتعليق المكتب الاسلامي، ط١: ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨.

٢٤. **مجموع الفتاوى**: ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية ـ السعودية ـ ط: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

٢٥. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت ـ ط٣: ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

٢٦. **مصاعِد النظر للإشراف على مقاصِدِ السورِ**: البقاعي، مكتبة المعارف – الرياض ـ ط١: ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

٢٧. **معجم مقاييس اللغة**: لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢٨. **مفاتيح الغيب**: الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ ط٣: ١٤٢٠هـ.

٢٩. **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**: علال الفاسي، مؤسسة علال الفاسي ـ المغرب: ط٥، ١٩٩٣م.

٣٠. **مقاصد الشريعة الإسلامية**: محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط: ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

٣١. **الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحاق الشاطبي**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١: ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٢. **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**: أحمد الريسوني، المعهد العلمي للفكر الإسلامي: ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٣. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**: البقاعي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٣٤. **النهاية في غريب الحديث والأثر**: ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ط: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٥. **الوحي المحمدي**: محمد رشيد بن علي رضا، دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط١: ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٢٨٥
مقدمة	٢٨٦
المطلب الأول: التعريف بمصطلحات المقال	
الفرع الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحا	٢٩٠
الفرع الثاني: تعريف التوحيد لغة واصطلاحا	٢٩٢
الفرع الثالث: مفهوم مقصد التوحيد في القرآن	٢٩٤
المطلب الثاني: مكانة مقصد التوحيد	
الفرع الأول: منزلة مقصد التوحيد في القرآن الكريم	٢٩٦
الفرع الثاني: أقوال العلماء في اعتبار مقصد التوحيد	٣٠٠
المطلب الثالث: اطلاقات العلماء على مسمى مقصد التوحيد وتقاسيمهم فيه	
الفرع الأول: اطلاقات العلماء على مسمى مقصد التوحيد	٣٠٩
الفرع الثاني: تقاسيم العلماء لمقصد التوحيد	٣١٣
الخاتمة	٣٢١
فهرس المصادر والمراجع	٣٢٢
فهرس الموضوعات	٣٢٥